



دور الحديث النبوي في مواجهة التحديات البيئية المعاصرة رؤية استنباطية

م. د. عمر يونس عبد

ديوان الوقف السني – دائرة المؤسسات الدينية

oma1982r@gmail.com

The Role of the Prophetic Ḥadīth in Confronting Contemporary Environmental Challenges: An Inference-Based Perspective

Dr. Omar Younis Abd

Diwān al-Waqf al-Sunnī

الملخص

يُعالج هذا البحث الموسوم بـ: "دور الحديث النبوي في مواجهة التحديات البيئية المعاصرة: رؤية استنباطية" أحد أبرز القضايا التي تفرضها الوقائع الكونية في عصرنا الراهن، وهي الأزمة البيئية العالمية وتدهور التوازن الإيكولوجي. إذ يشهد العالم تصاعداً خطيراً في صور التلوث، والتغير المناخي، وندرة الموارد، والتصحر، وانقراض الأنواع، ما يفرض مسؤوليات أخلاقية وتشريعية ودينية تتجاوز حدود السياسات الدولية نحو بناء وعي بيئي مؤصل. ينطلق البحث من فرضية محورية مؤداها أن السنة النبوية الشريفة لا تُقدّم بوصفها مصدر تشريع فردي محصور، بل بوصفها منظومة قيمية حضارية قادرة على إرساء مبادئ بيئية رحيمة، متوازنة، مستدامة. وقد اعتمد البحث منهجاً استقرائياً استنباطياً في استخراج القيم البيئية من النصوص الحديثية، وبيان دلالاتها الأخلاقية والتطبيقية، وربطها بالواقع البيئي المعاصر. يتوزع البحث على ثلاثة مباحث رئيسية تتناول التأصيل البيئي في الحديث، والضبط الأخلاقي للعلاقة مع الطبيعة، وتوظيف السنة في التوعية البيئية الحديثية. ويخلص إلى أن الحديث النبوي يُعد مصدراً وافراً للوعي البيئي القيمي، وأساساً متيناً لإحياء أخلاق الاستخلاف والإعمار، بعيداً عن الاستهلاك الجائر والإفساد اللامسؤول.

الكلمات المفتاحية: السنة النبوية، البيئة، التوازن الإيكولوجي، الاستدامة، القيم الإسلامية

Abstract

This study, entitled “The Role of the Prophetic ḥadīth in Confronting Contemporary Environmental Challenges: An Inference-Based Perspective,” addresses one of the most pressing realities of our time: the global environmental crisis and the breakdown of ecological balance. The world is witnessing a dangerous escalation of pollution, climate change, resource scarcity, desertification, and species extinction—phenomena that impose ethical, legal, and religious responsibilities extending beyond the scope of international policy toward the cultivation of a deeply rooted environmental consciousness. The research proceeds from the central hypothesis that the Prophetic Sunnah should not be regarded merely as a narrowly confined source of individual legislation,



but rather as a civilizational value-system capable of establishing compassionate, balanced, and sustainable environmental principles. It employs an inductive-inference methodology to extract environmental values from the ḥadīth corpus, to explicate their ethical and practical implications, and to connect them with contemporary environmental realities. The study is organized into three main sections: Environmental Foundations in the Ḥadīth Ethical Regulation of the Human–Nature Relationship Utilizing the Sunnah in Modern Environmental Awareness Programs It concludes that the Prophetic ḥadīth constitutes a rich source of value-based environmental awareness and provides a solid foundation for reviving the ethics of stewardship (khilāfah) and constructive development (‘imār), in opposition to wasteful consumption and irresponsible corruption.

Keywords: *Prophetic Sunnah; environment; ecological balance; sustainability; Islamic values*

المقدمة

الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وسخر ما فيهما لخدمة الإنسان، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه ورسوله صاحب البيان، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم إلى يوم الوقوف بين يدي الديان، وبعد:

في ظل ما يشهده العالم اليوم من تسارع مقلق في صور التدهور البيئي، من تلوث مياه وهواء وتربة، إلى تغيرات مناخية مدمرة، وانقراض أنواع حية، وتفشي أنماط استهلاكية مفرطة، باتت قضية البيئة إحدى أكبر التحديات التي تُهدد مصير الإنسانية وكوكب الأرض برمتها. وعلى الرغم من الجهود الدولية والتقارير العلمية المتواترة، فإن الانفصال العميق بين العقل البيئي والتكوين القيمي ما زال قائماً، وهو ما يجعل من العودة إلى الأصول الحضارية والدينية ضرورة، لا ترفاً نظرياً.

وفي مقدمة هذه الأصول، تبرز السنة النبوية الشريفة بوصفها مرجعاً أخلاقياً وتشريعياً غنياً، استطاع أن يؤسس منذ أربعة عشر قرناً لرؤية بيئية متكاملة تتسم بالرحمة، والاعتدال، واحترام المخلوقات، وصيانة الموارد، وإحياء الأرض. فالنبي محمد ﷺ لم يكن فقط مبلغاً للوحي، بل كان راعياً للغرس، ناصراً للحيوان، محذراً من التلويث، مرشداً إلى الطهارة والنظافة، داعياً إلى التوازن بين الحاجة والاستهلاك.

إن هذا البحث يسعى إلى استكشاف النصوص الحديثية ذات الصلة بالبيئة، واستخراج دلالاتها الاستنباطية، وربطها بالسياقات المعاصرة، ساعياً إلى بناء خطاب بيئي إسلامي يعيد دمج القيم النبوية في سياسات البيئة، ويُفعّل السنن الغائبة في الحياة الاجتماعية والمؤسساتية. كما يُبين أن الحديث النبوي لا يقتصر على الطهارة والعبادة، بل يمتد إلى عمارة الكون وحماية الحياة، في سياق يؤسس لرؤية خضراء تقوم على الاستخلاف لا الاستهلاك، والتوازن لا التبذير، والرحمة لا الاستغلال.



المبحث الأول: التأصيل الحديثي لقيم الحفاظ على البيئة

المطلب الأول: النظافة والطهارة – أصل بيئي في السنة النبوية

تُعد النظافة والطهارة من أبرز القيم التي أرستها السنة النبوية الشريفة، لا بوصفها مظاهر عبادية فحسب، وإنما كأصل جوهري في البنية الأخلاقية والاجتماعية والإيكولوجية للحضارة الإسلامية. وقد جاء في الحديث الشريف: "الطهور شطر الإيمان" (رواه مسلم، ٢٠٠١، ص. ١٤٠)، وهو نص يُظهر أن الطهارة ليست مجرد وسيلة لأداء العبادات، بل شرط من الإيمان، أي: نصف منه، بما تحمله من دلالات على السلوك الحضاري والنقاء الظاهري والباطني. ويفيد هذا الحديث استنباطاً أن الإسلام يربط بين الإيمان والسلوك البيئي النظيف، ويجعل من النظافة عنواناً لسمو الذات والتزامها بنظام كوني يعكس نظافة الفطرة وطهارة الجوهر (النووي، ٢٠٠٥، ص. ٨١).

لقد حفلت السنة النبوية بكم كبير من الأحاديث التي تُرشد إلى العناية بالنظافة الشخصية، مثل تنظيف الفم والسواك، وقص الأظفار، ونتف الإبط، والاستحذاء، وغسل اليدين، والوضوء، والاستنجاء، وكلها تمثل ممارسات يومية تُؤسس لعلاقة واعية بالجسد والبيئة. ففي حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: "لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة" (رواه البخاري، ٢٠٢١، ص. ٣٨٥)، يظهر حرصه ﷺ على ترسيخ ثقافة النظافة كعبادة متكررة، ومعاملة اجتماعية، وتحصين صحي. وتُظهر هذه التوجيهات كيف أن السنة النبوية استبقت النظريات الطبية الحديثة التي تربط بين نظافة الفم والوقاية من الأمراض التنفسية والهضمية (القرضاوي، ٢٠٠١، ص. ٢٣٣).

كما اتجهت السنة النبوية إلى تعزيز النظافة في المجال العام، فنهت عن تلويث الطرقات والظل والموارد المائية، وهي توجيهات تُعد في زماننا من صميم السياسات البيئية. فعن معاذ بن جبل أن النبي ﷺ قال: "اتقوا الملاعن الثلاث: البول في الموارد، وقارعة الطريق، والظل" (رواه أبو داود، ٢٠٠٨، ص. ٩٧). ويكشف هذا الحديث بُعداً حضارياً فريداً، حيث يُحذّر من إيذاء الناس بيئياً، ويُدين الممارسات التي تُلحق ضرراً بمرافق الحياة المشتركة، وهو ما يُعد أصلاً تشريعياً في منع التلوث، والتعدي على الصحة العامة، وانتهاك الجمال المكاني (الصابوني، ٢٠٠٠، ص. ١٦٦).

وإلى جانب ذلك، جاءت توجيهات نبوية تُعزز من ثقافة الجمال الخارجي عبر النظافة، كقوله ﷺ: "إن الله جميل يحب الجمال" (رواه مسلم، ٢٠٠١، ص. ٩٣)، وهو تعبير بلاغي يربط بين جمال الظاهر ونقاء الباطن، وبين الجمال الإلهي والجمال الإنساني. وتُفهم هذه الأحاديث في ضوء رؤية شاملة ترى في الإنسان جزءاً من نظام كوني، يُفترض أن يكون نظيفاً، منسجماً، نقياً في مظهره وسلوكه. وهو ما يجعل من النظافة في السنة مفهوماً حضارياً عاماً، لا ينفصل عن النظام البيئي والاجتماعي والصحي (عبد الستار، ٢٠١٥، ص. ٢٧٤).

ولا يخفى أن السنة ربطت بين النظافة وبين أسباب الرحمة الإلهية، كما في حديث: "عرضت علي أعمال أمتي، فرأيت في مساوئ أعمالها النخاعة في المسجد لم تُدفن، ورأيت في حسناتها إماطة الأذى عن الطريق" (رواه مسلم، ٢٠٠١، ص. ١٤٧)، وفيه ربط بين التصرفات البيئية الصغيرة وميزان الثواب والعقاب، مما يعمق البُعد الإيماني للنظافة العامة. وهذه النظرة تشكل أساساً لدمج النظافة في التربية البيئية



الإسلامية، بحيث يُربّي المسلم على أن كل فعل نظيف في ذاته هو عمل صالح عند الله (الغزالي، ٢٠٠٥، ص. ١١٨).

وقد أُسست هذه التوجيهات الحديثية على مقاصد كبرى، منها حفظ النفس، وحفظ النسل، وحفظ المال، وكلها تتأثر بالبيئة النظيفة أو الملوثة، وهو ما يجعل الطهارة أصلاً بيئياً ومقصداً شرعياً. ويمكن القول إن السنة النبوية قد قدمت تصوراً شمولياً للنظافة، لا يقتصر على الطقوس الدينية، بل يشمل الحياة العامة، والمكان المشترك، والسلوك الفردي، ما يجعلها اليوم أحد أهم الموارد التشريعية في بناء سياسة بيئية مستدامة مستلهمة من الهدي النبوي (حسن، ٢٠١٧، ص. ٩١).

المطلب الثاني: إحياء الأرض وغرس الشجر – قيمة عمرانية بيئية

يمثل مفهوم إحياء الأرض وغرس الشجر في السنة النبوية تجسيداً راقياً لأحد أهم الأبعاد البيئية في التصور الإسلامي، وهو البعد العمراني والإنتاجي الذي يجعل من علاقة الإنسان بالأرض علاقة استخلاف وإعمار، لا تملك ولا استهلاك مجرد. وقد أولى النبي محمد ﷺ هذه العلاقة عناية خاصة، تُظهر مدى انخراط الهدي النبوي في منظومة إصلاح الأرض واستدامة مواردها، وربط ذلك بالثواب الأخروي والدلالة الحضارية.

من الأحاديث الجوهرية في هذا الباب، ما رواه جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال: "من أحيا أرضاً ميتة فهي له" (رواه أبو داود، ٢٠٠٨، ص. ٢٩٤).

يُعد هذا الحديث أصلاً تشريعياً في تشجيع الاستصلاح الزراعي، ومكافحة التصحر، وتحفيز الأفراد على إحياء الأرض البور، حيث منح الشارع حق التملك لمن يحيي الأرض الميتة، مما يشجع على تنمية الرقعة الزراعية، وحماية الموارد الطبيعية، وتوظيف الطاقة البشرية في التنمية المستدامة (القرطبي، ١٩٩٦، ص. ١٢٢).

ويدل هذا النص على أن الإسلام لا ينظر إلى الطبيعة كمجال للعبث أو الكسل، بل كمجال للعمل والإنتاج والتخطيط، مما يجعل "الإحياء" فعلاً بيئياً وتنموياً في آن واحد (عبد الفتاح، ٢٠١٢، ص. ٦٧).

كما ورد في الصحيحين عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: "ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً، فيأكل منه إنسان أو دابة أو طير، إلا كان له به صدقة" (رواه البخاري، ٢٠٢١، ص. ٧٥٢).

إن هذا الحديث يربط بين الغرس الزراعي والعمل البيئي والبعد الروحي، إذ يجعل من العمل الزراعي باباً للأجر، وهو ما يُعطي من قيمة الزراعة والري والإنتاج الغذائي، ويُحول المزارع إلى فاعل بيئي مبارك، لا مستثمر مادي فقط. كما يُبرز الحديث النبوي أن العمل البيئي لا ينقطع أثره، بل يمتد حتى بعد وفاة صاحبه، إذ يأكل منه الطير والدابة، مما يُعطي الغرس معنى "الصدقة الجارية"، وهو ما يؤسس لما يُعرف اليوم في الأدبيات البيئية بمفهوم الزراعة المستدامة طويلة الأثر (السباعي، ٢٠٠٧، ص. ٨٨).

وقد كان النبي ﷺ يُربّي الأمة على هذا المعنى العملي للإحياء حتى في أشد الظروف، ففي الحديث الشريف: "إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليغرسها" (رواه أحمد، ١٩٩٩، ص. ٢٢٥).



وهذا الحديث يُعد من أعظم ما قيل في التحفيز البيئي والنفسي لاستمرار العمل حتى في لحظة الفناء الكوني، وهو تعبير رمزي عن أن الغرس والإحياء لا يرتبط بجدوى زمنية مادية فقط، بل بقيمة روحية ورسالة استخلاف، مما يُضفي على الغرس بعداً رسالياً لا مجرد اقتصادي (العوا، ٢٠٠٦، ص. ٦١).

ويُستنتج من هذه الأحاديث أن السنة النبوية جعلت من الفرد المسلم شريكاً في حماية البيئة ومكافحة التصحر وتعزيز الإنتاج الزراعي، وذلك عبر غرس شجرة، أو زراعة نبتة، أو إحياء أرض. وهي أفعال فردية في ظاهرها، لكنها تُنتج أثراً جماعية على الأمن الغذائي، والتوازن البيئي، وتقليل الكربون، وتنقية الهواء، ومقاومة الجفاف، مما يربط الفرد بجهاز أخلاقي كوني، لا ينفصل عن الكائنات والأنظمة الطبيعية.

وقد حث النبي ﷺ على العناية بالأشجار وحقول الزرع حتى من جهة العدو في الحرب، فقد ورد في وصاياه للجيش: "ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تهدموا بناءً..." (رواه البيهقي، ٢٠٠٣، ص. ٤١٢)، وهو ما يُظهر أن المبدأ البيئي في الإسلام سابق على الاتفاقيات الدولية في حماية الطبيعة أثناء النزاعات المسلحة (الشافعي، ٢٠١١، ص. ١٣٣).

ولذلك، فإن السنة النبوية لا تُقدم الإحياء الزراعي كفعل إنتاجي فقط، بل كفعل عبادي، وممارسة حضارية، وأداة لاسترجاع التوازن الطبيعي الذي اختلّ بسبب الجشع والاستهلاك المفرط. وبهذا، تُشكل هذه الأحاديث قاعدة قوية لإدماج الأفراد في مشاريع التشجير، وإعادة التأهيل البيئي، والتنمية الريفية، عبر خطاب شرعي راسخ يُحوّل الغرس إلى فعل تعبدي، والإحياء إلى مسار حضاري طويل المدى.

المبحث الثاني: الحماية البيئية في النصوص النبوية – رؤية أخلاقية تكاملية

المطلب الأول: النهي عن الإفساد في الأرض – منع التلوث والعدوان على البيئة

جاء الإسلام بنظام بيئي متكامل، يقوم على مبدأ التناغم بين الإنسان والطبيعة، ويُسخّر الموارد لا للنهب والاستغلال، بل للإعمار والاستخلاف. ولم تقتصر عناية الشريعة بهذه القيم على الإطار القرآني، بل جاءت السنة النبوية لتُرسي تفاصيل سلوكية وأخلاقية دقيقة تحكم علاقة الإنسان بالمكان الذي يعيش فيه، وبال مخلوقات التي تحيط به، وبأنظمة الطبيعة التي تضمن استمرار الحياة. وكان من أبرز هذه القواعد الحديثية، النهي الصريح عن كل ما يُفسد في الأرض أو يُلحق الضرر بعناصر البيئة.

ومن أقوى النصوص النبوية التي تؤسس لهذا المفهوم، حديث النبي ﷺ: "اتقوا الملاعن الثلاث: البول في الموارد، وقارعة الطريق، والظل" (رواه أبو داود، ٢٠٠٨، ص. ٩٧).

في هذا الحديث، يربط النبي ﷺ بين الفعل البيئي المؤذي، وبين اللعن الاجتماعي والأخلاقي والديني، مما يدل على أن الأذى البيئي ليس فقط فعلاً مزعجاً، بل مُحرمًا، يُعرض فاعله للذم والنقمة، ويُحوّله من كائن عمراني إلى عنصر مفسد في الأرض. وتشمل "الملاعن" ثلاث مواضع تمثل البنية التحتية البيئية في المجتمع القديم: الموارد (أي مصادر المياه العذبة)، الطرقات (أماكن المرور العام)، والظل (أماكن الاستراحة والتجمع). وتُظهر دقة هذا الحديث أن النبي ﷺ كان ينظر إلى البيئة كمساحات وظيفية مشتركة، يجب أن تُصان لا أن تُلوّث، لأنها ملك مشترك للجميع، والإضرار بها إضرار بالجماعة لا بالفرد فقط (النووي، ٢٠٠٥، ص. ١٤٥).

ويتجلى الإحساس النبوي بقيمة البيئة الحية في حديثه ﷺ الذي قال فيه: "من قطع سدره صوّب الله رأسه في النار" (رواه أبو داود، ٢٠٠٨، ص. ١٤٩)، وهو حديث فيه تعبير بلاغي بالغ الشدة، يجعل



من قطع شجرة ناضجة – وخاصة السدر التي يُنتفع بظلها وثمرها – ذنباً يُقابل بعقوبة النار، ما لم يكن ذلك لمصلحة راجحة. هذا التشديد يُبرز أن الشجرة ليست مجرد نبات جامد، بل كائن مبارك تُرتبط به حياة إنسانية وحيوانية، وقطعها من غير ضرورة يُعد عدواناً على التوازن البيئي، ومساساً ببنية الحياة (القرضاوي، ٢٠٠١، ص. ٢٠٢).

لقد أرسى النبي ﷺ بهذا النموذج مبدأ التحريم البيئي، أي أن الإفساد في الأرض لا يُقاس فقط بالنية أو الشكل، بل بالأثر، وبالتالي فإن كل عمل يؤدي إلى تلويث الماء أو الهواء أو التربة، أو إلى الإضرار بالمخلوقات، أو إلى قطع الحياة النباتية دون مسوغ مشروع، يدخل ضمن دائرة الإفساد المنهي عنه. وهذا ما يتقاطع مع المبدأ الفقهي الشامل: "لا ضرر ولا ضرار"، الذي نُقل عن النبي ﷺ في أكثر من رواية، وجعلته القواعد الأصولية أحد أعمدة الفقه الإسلامي.

والمأمل في قاعدة "لا ضرر ولا ضرار" يدرك أنها قاعدة مرنة، شاملة، وقابلة للتطبيق على جميع مجالات الحياة، ومنها المجال البيئي. فهي تمنع الفرد من اتخاذ قرارات أو سلوكيات تضر بالمجتمع أو بالنظام الطبيعي. كما أنها تُدين الاستغلال المفرط للموارد، أو الاستخدام اللامسؤول للطاقة، أو إدارة النفايات بطريقة تؤذي الآخرين. فهي قاعدة تتبع من مبدأ الحرية المنضبطة بالمسؤولية، وتُعيد تشكيل العلاقة بين الإنسان والطبيعة على أساس الشراكة لا السيطرة (الجزيري، ١٩٩٨، ص. ٣٤٧).

والملاحظ أن هذه القيم البيئية لم تُطرح في السنة النبوية بوصفها تعليمات نفعية، أو إرشادات أخلاقية بحتة، بل بوصفها أوامر شرعية تُرتب الثواب والعقاب، وتُصاغ بمنطق الوجوب، مما يجعلها تشريعات بيئية في ثوب حديثي. وإذا نظرنا إلى واقع المجتمعات المعاصرة التي تُعاني من التلوث، والاحتباس الحراري، والانقراض البيولوجي، سندرك مدى حكمة الهدي النبوي حين جعل من الحفاظ على البيئة جزءاً من منظومة الأخلاق الإيمانية، لا مجرد شأن علمي أو قانوني.

إن الحديث النبوي، حين يحذر من تلويث الطريق، أو من قطع الشجر، أو من التعدي على مصادر المياه، يُوجّه الإنسان إلى أن يكون حارساً للكون لا عدواً له، وشاهداً على نعمة الخلق لا جاحداً لها. وهذه الرؤية تُعد أرضية خصبة لبناء تشريع بيئي إسلامي حديث، يستند إلى نصوص الوحي، ويستجيب لمتطلبات الواقع، ويُسهّم في جهود البشرية لإنقاذ الأرض من التدهور والانهيار.

المطلب الثاني: الرفق بالحيوان والتوازن البيئي – الرحمة باعتبارها قيمة بيئية

يُعد الرفق بالحيوان أحد المرتكزات الأخلاقية الكبرى التي أرستها السنة النبوية، وهو ليس مجرد قيمة وجدانية أو نزعة عاطفية، بل تشريع أخلاقي بيئي شامل، يربط بين السلوك الفردي تجاه الكائنات الضعيفة وبين ميزان الثواب والعقاب الإلهي، وحالة التوازن الإيكولوجي في الطبيعة. وقد جاءت الأحاديث النبوية لتربط بين الرحمة بالحيوان وبين الإيمان الحق، ولتُجرّم الإيذاء أو التجاهل أو القسوة، حتى وإن كانت الكائنات لا تنطق ولا تعترض.

من أعظم الأحاديث النبوية التي تُؤسس لهذه القاعدة البيئية الكبرى، قوله ﷺ: "في كل كبدٍ رطبة أجر" (رواه البخاري، ٢٠٢١، ص. ٩٣٧).

وهذا النص، ببلاغته وجزالته، يُعد بياناً عالمياً عن حقوق الكائنات الحية، ووجوب احترام حياتها، وحمايتها من الجوع والعطش والضرر. وقد أطلق الحديث لفظ "كبد رطبة" ليشمل جميع صور الحياة



الحيوانية، فلا يقتصر على الدواب النافعة أو الأليفة، بل يعمّ حتى الطير، والزواحف، والحيوانات البرية، بل وحتى الكلاب، كما ورد في قصة الرجل الذي سقى كلبًا فشكر الله له فغفر له (مسلم، ٢٠٠١، ص. ٩٤).

إن في هذا الحديث توسعة مذهلة لدائرة "الخلق المُكرّم"، تُخرج الإنسان من مركزية التسلط إلى مركزية الرحمة، وتضعه في موقع المسؤول أمام الله والكون (القرضاوي، ٢٠٠١، ص. ١٠٣).

وفي المقابل، تُقدّم السنة صورة رادعة لمن يتجرد من هذه الرحمة، كما في حديث النبي ﷺ عن المرأة التي حبست هرة: "دخلت امرأة النار في هرة، حبستها، لا هي أطعمتها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض" (رواه البخاري، ٢٠٢١، ص. ١١١).

هذا الحديث يُجسّد عظمة العقوبة على جرم صغير في نظر كثير من الناس، لكنه عظيم في ميزان الشريعة لأنه يكشف عن قلب خالٍ من الرحمة، وعقل لا يعترف بحق الكائنات في الحياة. وفي ذلك تأكيد على أن القسوة ضد الحيوان لا تُعد مخالفة بيئية فقط، بل هي خلل في البناء الإيماني والأخلاقي (الغزالي، ٢٠٠٥، ص. ١٣٨).

ومن خلال هذين الحديثين، ترسخ السنة النبوية مبدأ الرحمة بوصفها أساساً لحماية التوازن البيئي، إذ إن الحيوانات تُشكل جزءاً رئيساً من السلسلة الغذائية، والتوازن البيولوجي، والنظام الطبيعي، والإخلال بحياتها، أو انقراضها، أو إيذاؤها، يؤدي إلى اختلال في البيئة، كما نشهده اليوم من تقشي الحشرات، أو نقص التلقيح النباتي بسبب تناقص أعداد النحل، أو الانهيار الغذائي بسبب صيد أنواع بحرية نادرة (الجزائري، ٢٠١٤، ص. ٩١).

وقد أكد النبي ﷺ في أحاديثه المتعددة أن الرحمة ليست موقوفة على الإنسان، بل هي خلق يُعامل به كل ما ينبض بالحياة، فقال:

"الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء" (رواه الترمذي، ١٩٩٨، ص. ٢٠٥).

ومن "من في الأرض"؟ يشمل النص الإنسان والحيوان وسائر الكائنات. وهذا يُظهر أن الرحمة في السنة النبوية ليست خلقاً فردياً، بل نظاماً اجتماعياً وبيئياً تُبنى عليه الحضارة وتحفظ به الموارد (عبد الستار، ٢٠١٥، ص. ١٧١).

ولعل من أبرز تجليات هذه الرحمة، أن النبي ﷺ نهى عن اتخاذ الحيوان غرضاً للرمي، أو تحميله فوق طاقته، أو تعذيبه، أو حبسه. ففي صحيح مسلم:

"مرّ النبي ﷺ على قوم قد نصبوا دجاجة يرمونها، فقال: لعن الله من فعل هذا" (مسلم، ٢٠٠١، ص. ١١٣).

وهذا الحديث يُعد من النصوص المؤسسة لحظر التعذيب التجريبي للحيوانات، وهي مسألة لا تزال مثار جدل أخلاقي معاصر في أوساط الطب والتجارب العلمية، بينما حسمها الإسلام منذ فجره الأول بمنع اتخاذ الحيوان وسيلة تسلية أو تجربة دون ضرورة معتبرة (الخطيب، ٢٠١٨، ص. ٢١٠).

ومن ثم، فإن السنة النبوية تُقدّم تصوراً بيئياً متكاملًا يجعل من الرفق بالحيوان وظيفة دينية، ومسؤولية مجتمعية، وعاملاً رئيساً في تحقيق التوازن الإيكولوجي. ولا غرابة أن يُعد هذا التصور، اليوم،



من أعظم ما يمكن أن يُقدّمه الفكر الإسلامي للعالم المعاصر في ظل تزايد الاهتمام بحقوق الحيوان، وتنامي الأصوات المطالبة بتشريعات عادلة لحماية البيئة.

المبحث الثالث: استثمار السنة في بناء وعي بيئي معاصر

المطلب الأول: السنة النبوية كأساس للسياسات البيئية الإسلامية

لقد غدت الأزمات البيئية المعاصرة – من التغير المناخي، إلى تدهور الغابات، إلى ندرة المياه، والتلوث الصناعي – من أكبر التحديات التي تُواجه البشرية، ليس من زاوية علمية أو اقتصادية فحسب، بل من زاوية أخلاقية وتشريعية تتطلب إعادة بناء الإنسان داخل بيئته الطبيعية. ومن هذا المنطلق، يُمثّل الرجوع إلى السنة النبوية في هذا السياق فعلاً حضارياً ضرورياً لا مجرد توظيف تراثي، لأن السنة ليست منظومة من النصوص الوعظية فحسب، بل نظام تشريعي متكامل، يُسهم في رسم معالم سياسة بيئية قائمة على مقاصد الشريعة، وقيم الرحمة، وحفظ الكليات.

من أهم المبادئ التي تؤسس لها السنة النبوية في المجال البيئي، مبدأ منع التلوث، والذي يظهر في أحاديث متعددة، كحديث: "انقوا الملاعن الثلاث: البول في الموارد، وقارعة الطريق، والظل" (رواه أبو داود، ٢٠٠٨، ص. ٩٧).

هذا الحديث لا يُعد مجرد إرشاد أخلاقي، بل هو أصل بيئي وقانوني يُمكن أن تُبنى عليه سياسات منع التلوث في الأماكن العامة والمياه والفضاءات المشتركة. ففي هذا النص النبوي، نلمح نواة قانون بيئي يُدين تلوث الفضاءات العامة، ويُؤسس لفكرة "الحق الجماعي في بيئة نظيفة"، وهي من المبادئ التي صارت اليوم جزءاً من القوانين الدستورية في العديد من الدول (الشافعي، ٢٠١١، ص. ٦٣).

كما أن السنة النبوية تُشير ضمناً إلى أهمية تدوير الموارد وتقليل الفاقد، كما في الحديث الذي يحث على الترشيح في استخدام الماء، حتى في حال الوضوء، حيث قال النبي ﷺ لسعد وهو يتوضأ: "ما هذا السرف؟" قال: أفي الوضوء إسراف؟ قال: نعم، وإن كنت على نهر جارٍ" (رواه ابن ماجه، ٢٠٠٩، ص. ٣٢٩).

وهذا الحديث يُعد تأسيساً لمبدأ "الاقتصاد في الموارد"، والذي يُعد اليوم أحد أعمدة الاقتصاد الأخضر، ومفهوم "الاستهلاك المسؤول". ويُفهم منه أن الوفرة لا تبرر التبذير، وأن وجود المورد لا يعني حق الإلتاف، مما يُمهّد لتشريعات تحاصر التبذير وتُعزز إعادة الاستخدام (القرضاوي، ٢٠٠١، ص. ٨٩).

أما من الناحية المؤسسية، فإن السنة النبوية، بمنظومتها القيمية والتطبيقية، قادرة على أن تكون أساساً لميثاق بيئي إسلامي عالمي، يُعنى بتنظيم علاقة المسلم بالبيئة، ويتكامل مع الجهود العالمية التي تُنادي بالعدالة البيئية والتنمية المستدامة. فالنبي ﷺ لم يكن مجرد مبلغ للوحي، بل كان مهندساً بيئياً حين حدد مواقيت للطهارة، وحمى موارد المياه، ورسم حدود الحرم، وأسس لمنطقة حمى في المدينة لا تُقطع فيها الأشجار ولا يُصاد فيها الطير، كما في قوله: "إني حرّمت المدينة... لا يُقطع عضاها، ولا يُختلى خلاها" (رواه البخاري، ٢٠٢١، ص. ٧٣٨).

وهذا الحديث يُعد نموذجاً مبكراً لما يُعرف اليوم بالمحميات الطبيعية، والتي تُعد ركناً أساساً من أركان السياسات البيئية الحديثة (الجزائري، ٢٠١٤، ص. ١١١).



واللافت أن هذه الرؤية النبوية لم تأت ضمن إطار تنظيري معزول، بل جاءت متجذرة في الفعل والممارسة اليومية، ومبنية على مقاصد الشريعة، وفي مقدماتها: حفظ النفس، وحفظ النسل، وحفظ المال، وهي مقاصد لا يمكن تحقيقها في بيئة ملوثة، أو في نظام طبيعي مختل، أو في مجتمع لا يحترم الحياة البيولوجية.

إن استثمار الحديث النبوي في التشريع البيئي لا يعني نسخ النصوص وإعادة توجيهها فحسب، بل يعني فهم روحها، واستيعاب مقاصدها، وتفعيلها في ضوء المستجدات البيئية، وصياغة قوانين مستلهمة منها في ميادين المياه، والطاقة، والنفائات، والتنمية العمرانية. وبذلك تتحول السنة إلى منصة شرعية مرجعية يمكن أن تُشكّل بها الدول الإسلامية ميثاقاً بيئياً عالمياً قائماً على التوحيد، الرحمة، والتوازن.

المطلب الثاني: توظيف الحديث النبوي في برامج التوعية البيئية الحديثة

يمثل توظيف السنة النبوية في برامج التوعية البيئية رافداً معرفياً وتربوياً بالغ الأهمية، خاصة في المجتمعات الإسلامية التي تستقي قيمها وتصوراتها من الهدي النبوي. ولما كانت الأزمة البيئية المعاصرة ذات طابع أخلاقي وسلوكي بقدر ما هي تقنية ومادية، فإن إعادة دمج الخطاب النبوي في منظومات التعليم والدعوة والإعلام يُعد خطوة مركزية في تشكيل وعي بيئي مسؤول ومستدام.

منطلق هذا التوظيف التربوي هو أن السنة النبوية لا تُقدّم كنصوص معزولة، بل كمنظومة قيم عملية يمكن غرسها في نفوس النشء منذ المراحل الأولى للتعليم. ومن الأمثلة الرفيعة لذلك، حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً، فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة، إلا كان له صدقة" (رواه البخاري، ٢٠٢١، ص. ٧٥٢).

هذا الحديث يمكن أن يكون مدخلاً بيداغوجياً فعالاً في المناهج المدرسية لتعليم الطلاب احترام الحياة النباتية، والاهتمام بالتشجير، وفهم العلاقة بين الغرس والجزاء، مما يربط العمل البيئي بالمسؤولية الدينية. فالمعاني النبوية هنا تُحوّل الزراعة إلى عبادة، والغرس إلى صدقة، وتُثمّن الشعور بالمسؤولية الفردية تجاه البيئة (الشريف، ٢٠٢٠، ص. ١١٥).

ويُعد حديث: "في كل كبد رطبة أجر" (رواه مسلم، ٢٠٠١، ص. ٩٤)

من النصوص التي يجب أن تُدرج ضمن المناهج التربوية في الجامعات والكليات الزراعية والبيئية، ليكون حجر زاوية في تأسيس أخلاقيات التعامل مع الكائنات الحية، بما في ذلك الحيوانات الأليفة والمهددة، والتأكيد على مبدأ الرعاية البيئية في مؤسسات التعليم العالي. إذ يُحوّل الحديث سقي الحيوان أو العناية به من سلوك بيولوجي إلى سلوك تعبدية تشرifi، مما يُرسخ أن حماية الحيوان ليست مكرمة إنسانية بل تكليف شرعي (الغامدي، ٢٠١٩، ص. ٤٤).

أما من ناحية الخطاب الديني والمنابر الدعوية، فإن للمساجد دوراً محورياً في تعميم الثقافة البيئية النبوية بين عموم الناس، لا سيما أن الخطب الأسبوعية تصل إلى جمهور عريض من مختلف الأعمار والخلفيات. ويمكن أن تُخصّص خطب الجمعة، ومجالس العلم، لحملات توعوية تستند إلى الأحاديث الصحيحة، مثل حديث: "من قطع سدره صوّب الله رأسه في النار" (رواه أبو داود، ٢٠٠٨، ص. ١٤٩)،

والذي يمكن استثماره في التحذير من التعدي على الأشجار، والتوعية بأهمية الغابات، ومكافحة التصحر، وتشجيع المبادرات الشعبية في التشجير (القرني، ٢٠٢١، ص. ٧٢).



كما أن للمناهج الدعوية الحديثة – خاصة من خلال وسائل الإعلام والمنصات الرقمية – دورًا متعاظمًا في نقل هذه القيم النبوية إلى أجيال التقنية والرقمنة، عبر تصميم مقاطع تعليمية، وملصقات توعوية، وتطبيقات هاتفية تربط بين الحديث والعمل البيئي. ويمكن أن تُبنى حملات رقمية تستند إلى شعار نبوي مثل: "الراحمون يرحمهم الرحمن" (رواه الترمذي، ١٩٩٨، ص. ٢٠٥)،

مع ربطه بمواقف توعوية حول رفق الإنسان بالحيوانات، والتقليل من استهلاك اللحوم المفرط، أو منع التعذيب للحيوانات في التجارب العلمية.

وتكمن أهمية هذا التوظيف الحديث في البرامج البيئية في أنه يوفر أرضية دينية وثقافية تضمن القبول المجتمعي للمفاهيم البيئية الحديثة، خاصة في البيئات التي قد تنظر إلى الخطاب البيئي الغربي بريبة. كما أن الحديث النبوي – بما يحمله من قدسية واقتران بالإيمان – يمنح للمبادرات البيئية شرعية روحية وأخلاقية تُعزز من استمراريتها وفعاليتها (عبد الحليم، ٢٠١٦، ص. ١٥٣).

وفي ضوء ذلك، فإن توظيف السنة النبوية في التوعية البيئية لا يجب أن يكون نشاطًا هامشيًا أو عرضيًا، بل ينبغي أن يُدمج في السياسات التربوية والدعوية للدول والمؤسسات الإسلامية، وأن يُبنى عليه ميثاق أخلاقي بيئي جامع، يُوحّد بين النص الشرعي والحس المدني، ويحوّل القيم النبوية من مجال الوعظ إلى أفق التنمية المستدامة.

الخاتمة

لقد سعى هذا البحث الموسوم بـ "دور الحديث النبوي في مواجهة التحديات البيئية المعاصرة: رؤية استنباطية" إلى استجلاء ملامح الخطاب النبوي البيئي، عبر تحليل الأحاديث النبوية ذات الصلة بالطبيعة والكائنات والموارد، واستنباط دلالاتها الأخلاقية والتشريعية، وربطها بسياق التحديات البيئية التي يواجهها العالم المعاصر. وانطلق البحث من فرضية مركزية مؤداها أن السنة النبوية لم تكن غائبة عن الوعي البيئي، بل أسست لمنظومة من القيم والسلوكيات والتشريعات التي تُعدّ، في كثير من وجوها، سابقة على المفاهيم البيئية الحديثة.

وقد عالجت الدراسة ثلاثة محاور رئيسية: الأول في تأصيل قيم النظافة والإحياء والغرس في الحديث الشريف، والثاني في حماية الموارد والتوازن البيولوجي والرفق بالحيوان، والثالث في تفعيل السنة في البرامج البيئية المعاصرة. وتوصل البحث إلى أن السنة النبوية تشكّل إطارًا مرجعيًا قابلاً للتفعيل في التشريع البيئي والتربية البيئية، وتُعدّ من أهم الوسائل لترسيخ الوعي البيئي الإسلامي في الأجيال الحالية والقادمة.

إن الأزمة البيئية ليست مادية فقط، بل هي في جوهرها أزمة أخلاقية وسلوكية وقيمية، والسنة النبوية تملك قدرة متميزة على معالجة هذا البُعد القيمي عبر خطاب روحي عملي يُحفّز المسؤولية، ويعيد للإنسان مكانته كخليفة، لا كمُفسد في الأرض.

نتائج البحث

السنة النبوية أصل تشريعي بيئي متكامل، تضمّنّت نصوصًا مباشرة تتعلق بالطهارة، والنظافة، والغرس، والرفق بالحيوان، والتعامل مع الموارد، وتحظر الإفساد والإضرار البيئي.



مفاهيم مثل: "الطهور شطر الإيمان"، و"في كل كبد رطبة أجر"، و"ما من مسلم يغرس غرساً..."، تمثل منطلقات فكرية وتربوية يمكن من خلالها تأسيس خطاب بيئي أصيل ومستدام.

الحديث النبوي لا يكتفي بالوعظ الأخلاقي، بل يحمل صيغاً تشريعية وتنظيمية مثل حديث "من أحيا أرضاً ميتة فهي له"، مما يُمكن من توظيفه في بناء قوانين بيئية إسلامية.

السنة تقدم تصورات عملية عن الحماية البيئية، كما في تنظيم المحميات الطبيعية (حديث تحريم قطع الشجر في المدينة)، وضبط الموارد، ومنع التلوث.

توظيف السنة في التعليم والدعوة يمثل أداة فعّالة في تعميم الوعي البيئي، خاصة عند ربطها بالمناهج الدراسية، وخطب الجمعة، والمنصات الرقمية، وبناء حملات توعوية تربوية مستندة إلى النصوص الحديثية.

توصيات البحث

إدماج السنة النبوية البيئية في المناهج الدراسية في المدارس والجامعات، سواء في مواد التربية الإسلامية، أو المواد البيئية، لتشكيل وعي بيئي ديني لدى الأجيال.

تشجيع الباحثين في العلوم الشرعية على تطوير "الفقه البيئي الإسلامي" انطلاقاً من النصوص الحديثية، وتفعيلها في صياغة قوانين وطنية ومقترحات للسياسات البيئية.

إطلاق ميثاق بيئي إسلامي عالمي مستند إلى مقاصد الشريعة والسنة النبوية، يُشارك فيه علماء الشريعة والبيئة، ويتكامل مع الجهود الدولية في هذا المجال.

تفعيل دور المساجد والمنابر الدينية والإعلام الإسلامي في نشر ثقافة السنة البيئية، وتخصيص برامج تربوية تشرح القيم النبوية المرتبطة بالبيئة والسلوك الأخلاقي.

الاستفادة من الوسائط الرقمية الحديثة (التطبيقات، مقاطع الفيديو، الإنفوغراف) في تقديم السنة النبوية البيئية بأسلوب عصري، موجه للأطفال والناشئة والشباب.

المصادر والمراجع

١. ابن القيم، محمد بن أبي بكر. (١٩٩٦). مفتاح دار السعادة. القاهرة: مكتبة دار البيان.
٢. ابن ماجه، محمد بن يزيد. (٢٠٠٩). سنن ابن ماجه. دمشق: دار الرسالة العالمية.
٣. أبو داود، سليمان بن الأشعث. (٢٠٠٨). سنن أبي داود. بيروت: دار الرسالة العالمية.
٤. أحمد بن حنبل. (١٩٩٩). مسند الإمام أحمد بن حنبل. بيروت: مؤسسة الرسالة.
٥. البخاري، محمد بن إسماعيل. (٢٠٢١). صحيح البخاري. بيروت: دار ابن كثير.
٦. البيهقي، أحمد بن الحسين. (٢٠٠٣). السنن الكبرى. بيروت: دار الكتب العلمية.
٧. الترمذي، محمد بن عيسى. (١٩٩٨). سنن الترمذي. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
٨. الجزائري، عبد الرحمن. (٢٠١٤). الفكر البيئي في الإسلام. المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم.
٩. الجزائري، عبد الرحمن. (١٩٩٨). الفقه على المذاهب الأربعة. بيروت: دار الفكر.
١٠. حسن، عبد العزيز. (٢٠١٧). مقاصد الشريعة في حماية البيئة. الرياض: مركز التأصيل.
١١. الخطيب، عبد العزيز. (٢٠١٨). الأصول البيئية في السنة النبوية. جدة: مكتبة الرشد.
١٢. السباعي، مصطفى. (٢٠٠٧). اشتراكية الإسلام. بيروت: دار الوراق.



١٣. سعيد، مصطفى. (٢٠١٠). الفقه البيئي في الإسلام. دمشق: دار الإرشاد.
١٤. الشافعي، عبد الله. (٢٠١١). السنة والبيئة: تحليل مقاصدي للمنظومة البيئية في الإسلام. القاهرة: مركز البيان.
١٥. الشريف، محمد. (٢٠٢٠). البيئة في السنة النبوية وتطبيقاتها التربوية. المدينة: جامعة طيبة.
١٦. الصابوني، محمد علي. (٢٠٠٠). روائع البيان في تفسير آيات الأحكام. بيروت: دار القرآن الكريم.
١٧. عبد الحليم، سامي. (٢٠١٦). السنة النبوية والتربية البيئية. القاهرة: دار السلام.
١٨. عبد الستار، عبد الغني. (٢٠١٥). البيئة في الإسلام: المفهوم والمعالجة. القاهرة: دار السلام.
١٩. عبد الفتاح، عبد العزيز. (٢٠١٢). قضايا البيئة في الفكر الإسلامي المعاصر. الرياض: مكتبة العبيكان.
٢٠. العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر. (١٩٩٧). فتح الباري بشرح صحيح البخاري. بيروت: دار المعرفة.
٢١. العوا، محمد سليم. (٢٠٠٦). فقه العمران البيئي في الإسلام. القاهرة: دار الشروق.
٢٢. الغامدي، سعود. (٢٠١٩). أخلاقيات الحيوان في الإسلام. مكة: دار طويق.
٢٣. الغزالي، أبو حامد. (٢٠٠٥). إحياء علوم الدين. بيروت: دار الفكر.
٢٤. القرضاوي، يوسف. (٢٠٠١). البيئة في ضوء الكتاب والسنة. القاهرة: دار الشروق.
٢٥. القرطبي، محمد بن أحمد. (١٩٩٦). الجامع لأحكام القرآن. القاهرة: دار الكتب المصرية.
٢٦. القرني، عبد الله. (٢٠٢١). الدعوة البيئية في ضوء السنة. جدة: دار عالم الكتب.
٢٧. مسلم، مسلم بن الحجاج. (٢٠٠١). صحيح مسلم. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
٢٨. النووي، يحيى بن شرف. (٢٠٠٥). المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج. القاهرة: دار السلام.